MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE

ANNALES
ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 38 (2004), p. 57-68 ar.

ʿABD AL-MĀLIK (Sāmī Sāliḥ)

[illegible] 761 / 1359-1360
Qiṭʿa nādira min al-kiswa al-dāḫiliyya lil-kaʿba al-mušarrafa bi-sm al-sulṭān Al-Nāṣir Ḥasan bin Muḥammad bin Qalāwūn tuʾarraḫ bi-sanat 791 H/1359-1360 m.

سامي صالح عبدالمالك

قطعة نادرة من الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة باسم السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون تؤرخ بسنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٠م

بخصوص هذه القطعة من الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة، يمكن القول أن الآثار والتاريخ صنوان لا يفترقان وعلمان متضامنان، بل يمكن القول بأنه ما من ترابط بين علم وعلم يعدل تلك العلاقة القوية القائمة بين الآثار والتاريخ، إنهما الوجهان لعملة واحدة فكلاهما يكمل الآخر، ومن ثم لا غنى لأحدهما عن الآخر[١]، خاصةً لو أن أحدهما أكد ما جاء في الآخر، وهو ما يذكره عبدالقدوس الأنصاري بقوله: «إذا اتفق التاريخ الخبري مع الشاهد الأثري على حدوث أمر ما فإن ذلك يكون حقيقة مؤكدة لا شبهة فيها ولا التواء»[٢]. وهي الحالة موضع الدراسة هنا، إذ أن ذكر كسوة السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٨-١٣٥١م، ٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م) للكعبة المشرفة من الداخل سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٠م، هو الخبر الذي رددته العديد من المصادر التاريخية المعاصرة للفترة المملوكية[٣]، ووجود قطعة من هذه الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة باقية حتى يومنا هذا[٤]، هو الشاهد الأثري والدليل المادي على ما جاء بالنص الخبري، حيث يلاحظ تطابق الوصف الذي جاء ذكره في النص الخبري عند المؤرخين مع قطعة الكسوة الباقية حتى الآن، فمن هنا تبرز أهمية تكامل المنهج العلمي ما بين التاريخ والآثار.

١ محمد حمزة إسماعيل الحداد، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية، المبحث الأول، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، سلسلة دراسات آثارية، العدد ٢، الرياض، رمضان - شوال ١٤٢٠هـ / يناير ٢٠٠٠م، ص ١٧؛ العلاقة بين التاريخ والآثار «دراسة حول تكامل المنهج العلمي وأهميته في تحقيق الأحداث التاريخية الإسلامية»، مجلة الدرعية، السنة ٢، العدد ٨، الرياض، شوال ١٤٢٠هـ/ فبراير ٢٠٠٠م، ص ١٧٠؛ النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٩.

٢ عبدالقدوس الأنصاري، بين التاريخ والآثار، مطابع الروضة، جدة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٢؛ الحداد، العلاقة بين التاريخ والآثار، ص ١٧٢.

٣ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق أيمن فؤاد سيد ومصطفى محمد الذهبي، ط٢، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ج ١، ص ٥٩؛ الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق أديب محمد الغزاوي، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٧٢؛ تقي الدين أبى العباس أحمد بن علي المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٨٤-٨٥؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ج ١٠، ص ٣١٦؛ محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، دار المدني، جدة، د. ت، ج ٣، ص ٢٧٨، ٢٨٠.

٤ القطعة محفوظة بمتحف قصر طوب قابي باستانبول - تركيا تحت رقم سجل ١٣/١٦٨٩.

AnIsl 38 (2004), p. 57-68 ar. ʿABD AL-MĀLIK (Sāmī Sāliḥ)

فبادئ ذي بدء سنعرض تاريخ الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة منذ ظهورها حتى نهاية العصر المملوكي، وذلك من خلال ما جاء عنها من إشارات عند الرحالة المعاصرين والمؤرخين الذين رأوها رؤى العين، وكانوا شهود عيان لها. فالكسوة الداخلية للكعبة المشرفة على عكس الكسوة الخارجية التي رصد المؤرخون لتاريخها منذ عهد تبع الحميري في العصر الجاهلي أي ما قبل الإسلام بحوالي قرنين أو أكثر قليلاً من الزمان وعلى مر العصور التاريخية الإسلامية المتتابعة بعد ذلك. إذ نجد أن الكسوة الداخلية لم تحظ بهذا الرصد والاهتمام من قبل الرحالة والمؤرخين خاصةً في الفترات التاريخية الأولى قبل ظهور الإسلام أو حتى بعد ظهور الإسلام إلى نهاية العصر العباسي الأول التي لا نعلم إن كانت ظهرت فيها كسوة داخلية للكعبة المشرفة أم لا، فربما مرد ذلك لأنها لم تظهر منذ بداية ظهور الكسوة الخارجية فكان ظهورها متأخراً عليها كثيراً، ولكونها أيضاً توجد داخل الكعبة مستورة عن أنظار الناس ولم يكن من المتيسر دخول كل الناس للكعبة بما فيهم الرحالة والمؤرخين خاصة في أوقات الزحام إذ يصادف حضورهم دائماً موسم الحج وهو الهدف الأساسي الذي جاءوا من أجله في رحلاتهم، وكذلك لعدم تغييرها دورياً كل عام مثل الكسوة الخارجية، بسبب عدم تعرضها للشمس ومس أيدي الناس[٥]، ولكن في الفترات التاريخية التالية كانت الكسوة الداخلية على عكس مما يراه البعض من المؤرخين فإن تأخر ظهورها وقلة تغييرها قد ساعد على رصد تغييرها خاصةً في عصر دراسة هذه القطعة وهو العصر المملوكي، فنجد أَن من حالفه الحظ ودخل الكعبة المشرفة من الرحالة والمؤرخين قد أمدنا بوصف موجز ولكن على أية حال هام جداً.

أما عن تاريخ ظهور الكسوة الداخلية فترجع إلى بداية العصر العباسي الثاني، فأول من أشار إلى وجود كسوة بداخل الكعبة المشرفة صراحةً – على حد علمي – هو الأزرقي وذلك في أحداث سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م بقوله: «و نقض – إسحاق بن سلمة – ما كان من الأصباغ المزخرفة على السقف، وعلى الإزار الذي دون السقف فوق الفسيفساء ثم ألبسها ثياب قِبَاَطي أخرجها إليه الحجبة مما عندهم في خزانة الكعبة، وألبس تلك الثياب ذهباً رقيقاً، وزخرفه بالأصباغ»[٦].

ويلاحظ مما تقدم أن الكسوة التي من القِبَاَطي لم تعد خصيصاً لكسوة الكعبة من الداخل، وإنما كانت موجودة بالفعل في خزانة الكعبة من قبل، وأنها اقتصرت على سقف الكعبة لتثبيت رقائق الذهب والزخرفة عليها.

ثم ما جاء ذكره عند الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) وذلك سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م بقوله: «ثم جدد المتوكل رخام الكعبة وأزرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها بذهب، ثم كسا أساطينها الديباج، ثم لم يزل الديباج كسوتها في الدولة العباسية بأسرها»[٧].

والمتوكل هو الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر (٢٣٢–٢٤٧هـ/ ٨٤٧–٨٦١م)، والأساطين هي أساطين الكعبة المشرفة ونحن نعلم أنها كانت تشتمل على أساطين خشبية – أي أعمدة – منذ عمارة قريش، ومن بعدها عمارة عبدالله

[٥] أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ج ٤، ص ٢٧٦؛ السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة عبر التاريخ، ط ١، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥١–٥٢.

[٦] الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، ط٥، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ١، ص ٣٠٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص ٣١٩.

[٧] علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات العربية، ط ٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ١٦٢؛ ابي علي بن عمر ابن رسته، الأعلاق النفيسة، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، د. ت، ص ٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٨١.

AnIsl 38 (2004), p. 57-68 ar. ʿABD AL-MĀLIK (Sāmī Sāliḥ)

بن الزبير رضى الله عنه لها في سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م[٨]، وفيما يبدو أن الكسوة كانت في زمن المتوكل مقتصرة على الأساطين وقواعدها فقط دون جدران الكعبة المشرفة الداخلية، لأن حيطانها وسقفها كانت ملبسة بالذهب وهو ما أكده الماوردي في نصه.

أما أول وصف للكسوة الداخلية للكعبة المشرفة صراحةً – على حد علمي – فقد كان خلال العصر العباسي الثاني والعصر الفاطمي، وهو ما جاء عند الرحالة الفارسي ناصر خسرو وذلك سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م عند توجهه للحج من مصر للمرة الثانية ودخوله الكعبة المشرفة في هذه المرة، وذكره لكسوتها الداخلية بقوله: «وقد أسدل على الخلوة[٩] التي خلف الحجر الأسود ستار من الديباج الأحمر. وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحرير الذي يحجبه عن الأنظار»[١٠].

ثم يلي وصف ناصر خُسرو ما جاء عند أبو الحجاج يوسف البلوي الأندلسي سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م بقوله: «وأسفل البيت مبسوط بالرخام، وأعلاه مسطح قد سُمرت في سقفه شُقق الحرير الملون من أبيض وأحمر وأصفر وأسود، وحيطانه فوق القامة منه رُخام مُرصع، ومنه إلى السقف شبه شجرة ملتفة الأغصان قد دخل بعضها في بعض من أحسن ما يرى، وكُسي ذلك البيت ذهباً يكاد يغشي البصر»[١١].

ثم يلي وصف البلوي ما جاء عند الرحالة الأندلسي ابن جبير، وذلك عندما حج سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، إذ دخل الكعبة المشرفة وشاهد الكسوة الداخلية ووصفها بقوله: «وسقف البيت مُجَلَّلٌ بكساء من الحرير الملون»[١٢].

ويبدو أن كسوة الكعبة المشرفة كانت في تلك الفترة سواء أيام الخلفاء العباسيين أو الفاطميين قاصرةً على سقف الكعبة دون غيرها، إذ لم تكن هناك حاجة لكسوة الجدران المرخمة بأبدع الرخام وأحسنه والمطلية بالفضة المذهبة منذ عهد الوليد بن عبدالملك، وقد جاء وصفه عند بعض الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الذين أُتيحت لهم فرصة دخول الكعبة المشرفة[١٣].

٨ إذ كانت الكعبة في عمارة قريش تشتمل على ستة أساطين أي دعائم أو أعمدة حسب وصف المؤرخين، موزعة على صفين كل ثلاثة في صف، ثم اقتصرت في بناء عبدالله بن الزبير على ثلاثة فقط في صف واحد، للمزيد عن عمارة قريش وعبدالله بن الزبير أنظر:
الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ٦٩-٧١؛ أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ٢، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج ٥، ص ٢٢٩؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١٨٥-١٨٩؛ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج و طريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج ١، ص ٨٨، ٤٣٠-٤٣٤، ج ٣، ص ١٦٥٧؛ أحمد عبدالغفور عطار، الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم، ط ٢، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٤٨-٥١؛ حامد عباس، قصة التوسعة الكبرى، ط ١، مجموعة بن لادن، جدة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٨١-٨٢؛ عبيدالله أمين كردي، الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارةً وتاريخاً، مجموعة بن لادن، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٩٠-٩٤؛ محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط ١، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ٥٤-٨٢.

٩ وصف ناصر خسرو وجود ثلاث خلوات بالكعبة أحدها تقابل الباب والأخريان على الجانب الشمالي، أنظر: علوي ناصر خسرو، سفرنامة، ترجمة يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٤٧.

١٠ ناصر خسرو، سفرنامة، ص ١٤٧، ١٤٨.

١١ البلوي، ألف باء، ج ١، ص ٣٥٨.

١٢ أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي ابن جبير، الرحلة، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٦٠.

١٣ الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢١٢-٢١٣؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٦٢؛ ابن رسته، الأعلاق، ص ٣٩-٤١؛ ناصر خسرو، سفرنامة، ص ١٤٧؛ ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠؛ محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٣٤؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١٩١، ٢٢٠.

ثم لا نجد ذكر للكسوة الداخلية للكعبة المشرفة في المصادر التي بين أيدينا واطلعنا عليها حتى أيام الملك اليمني المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول (٦٤٧-٦٩٤هـ/ ١٢٤٩-١٢٩٤م) الذي كسا الكعبة المشرفة من الداخل سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٥٩-١٢٦٠م، وهو يعتبر أول من كسا داخل الكعبة المشرفة بعد نهاية دولة بني العباس ببغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[١٤].

ثم قام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بكسوة الكعبة المشرفة كسوةً داخلية سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٠م، جاء وصفها عند المؤرخ الفاسي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) بقوله: «ولم يكسها أحد من الملوك بعد ذلك إلا أخوه الملك الناصر حسن – وكان يتحدث عن وقف الملك الصالح إسماعيل – إلا أن كسوته لم تكن لظاهر الكعبة، وإنما لباطنها – أي داخلها – وهي الكسوة التي في جوفها الآن (زمن الفاسي) وبلغني أنها كانت أطول من هذا بحيث تصل إلى الأرض، وهي الآن ساترة لمقدار النصف الأعلى وسقفها، وهي حرير أسود، وفيها جامات مزركشة بالذهب، ما خلا شقة من السقف بين الأسطوانتين اللَّتَين تليان الباب، فإنها كمخة حرير حمراء، وفي وسطها جامة كبيرة مزركشة بالذهب، وكان إرسال السلطان حسن لهذه الكسوة في سنة إحدى وستين وسبعمائة»[١٥].

وقد نقل عن الفاسي هذا الوصف العديد من المؤرخين سواء القدامى منهم أو المحدثين بعد ذلك[١٦].

وقد حلت كسوة السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون محل كسوة الملك المظفر يوسف بن رسول صاحب اليمن التي كسا بها الكعبة من الداخل سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٥٩-١٢٦٠م، والذي يُعتبر أول من كَسا داخل الكعبة المشرفة بعد نهاية دولة بني العباس في بغداد[١٧]، بعد أن استمرت على جدران الكعبة من الداخل أكثر من مائة سنة، وهو ما

[١٤] يلاحظ أن بعض المؤرخين أوردوا خبر الكسوة دون تحديد نوعيتها إن كانت لخارج الكعبة المشرفة أم لداخلها، أنظر: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ج ١، ص ١٠٠؛ شمس الدين أبو الحسن علي الخزرجي، العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ج ١، ص ١٣٣-١٣٥؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٧؛ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٧، ص ٤٨٩؛ الزهور المقتطفة، ص ٧٢؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٨٤؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٦٠١؛ علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق جميل عبدالله محمد المصري، ط ١، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٣١٩؛ الدقن، كسوة الكعبة، ص ٥٣؛ عبدالكريم علي باز، المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، مج ٧، ج ١، دار المريخ، لندن، رجب ١٤١٢هـ/ يناير ١٩٩٢م، ص ١٠-١١، ١٣.

[١٥] الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ العقد الثمين، ج ١، ص ٥٩؛ الزهور المقتطفة، ص ٧٢.

[١٦] المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٨٤-٨٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٧٨، ٢٨٠؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٦٥٧-٦٥٩؛ إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ج ١، ص ٢٩١؛ حسين عبدالله باسلامه، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط ٢، تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٦٦؛ عطار، الكعبة والكسوة، ص١٥١؛ عبد العزيز عبد الرحمن مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠-١٤٠١هـ/ ١٩٨٠-١٩٨١م، ص ١٣٨؛ فريال داود عبدالخالق، كسوة الكعبة، مجلة المورد، مج ٩، العدد ٤، دار الجاحظ، بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٧٤؛ الدقن، كسوة الكعبة، ص ٥٣؛ طلحة حسن الشيبي، تحقيق المرام في تاريخ البيت الحرام، ط ١، د. ن، ١٤١٥هـ، ص ٦١-٦٥؛ وصي الله بن محمد عباس، المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، ط ١، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٧٥.

[١٧] العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ١٠٠؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٧؛ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٧، ص ٤٨٩؛ الزهور المقتطفة، ص ٧٢؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٨٤؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٦٠١، ج ٣، ص ١٦٩٣؛ السنجاري، منائح الكرم، ج ٢، ص ٣١٩.

أكده الفاسي بقوله: «وبلغني أنه كان في جوف الكعبة قبلها – أي قبل كسوة السلطان حسن – كسوة للملك المظفر صاحب اليمن، والملك المظفر أول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بني العباس من بغداد، وذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة»[١٨].

ويُعتبر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بذلك أول سلطان مملوكي يكسو الكعبة المشرفة من الداخل، والسبب الذي جعله يقوم بإرسال هذه الكسوة هو لقدم كسوة ملك اليمن المظفر يوسف بن رسول التي مر عليها أكثر من مائة عام، هذا بالإضافة إلى أن كسوة الكعبة الداخلية لم تكن لها أوقاف مثل كسوة الكعبة المشرفة الخارجية والحجرة النبوية والمنبر النبوي، وهو ما يؤكده الفاسي بقوله: «وكسوتها في هذه السنة – ٨٢٥هـ – وفيما قبلها من سبعين سنة من الوقف الذي وَقَفَه السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر – أيام سلطنته – على كسوة الكعبة في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبويَّة والمنبر النبوي في كل خمس سنين مرّة، وهذا الوقف قرية بضواحي في طرق القليوبية مما يلي القاهرة اشتراها الملك الصالح من بيت المال، ووقفها على ما ذكر فيها»[١٩]. وبالتالي كان يتم كسوتها من الداخل من قبل الملوك والسلاطين وحسب الأحوال، حيث كانت لا توجد لها أوقاف موقوفة عليها مثل كسوة الكعبة الخارجية والحجرة النبويَّة والمنبر النبوي تحدد تاريخ تغييرها مثلما حدث في العصر العثماني بعد ذلك حيث حدد الواقف تغيير كسوة الكعبة الداخلية كل خمس سنوات.

وقد نُشرت قطعةٌ من هذه الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة بإحدى الكتب عن المنسوجات الحريرية العثمانية[٢٠]، مع الإشارة في التعليق على هذه القطعة على أنها نسيج مملوكي من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[٢١]، والقطعة محفوظة بمتحف قصر طوب قابي باستانبول تحت رقم سجل (١٦٨٩/ ١٣).

ولكن بالدراسة التاريخية الفنية اتضح لي أن القطعة ليست أي قطعة إنما هي جزء من الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة من عهد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، أثناء فترة حكمه الثانية (٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م) ويمكن تأريخُها على وجه الدقة بسنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٠م، وذلك من خلال تكامل المنهج العلمي بين ما جاء في نصوص المصادر التاريخية والأدلة المادية وهو وصول قطعة من هذه الكسوة الداخلية إلينا، وأنها جزء من الكسوة التي أُرسلت إلى الكعبة في هذه السنة، خاصة أن كسوة الكعبة المشرفة الداخلية لم تتغير سنوياً مثل الكسوة الخارجية، وبالتالي لا توجد صعوبة في تتبع عملية تغييرها خاصةً خلال العصر المملوكي، وهو ما نجده عند المؤرخين الذين رصدوا عملية تغييرها والآمر بصناعتها عند حدوث ذلك.

[١٨] الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٧.
[١٩] الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٦.
[٢٠] عن هذه القطعة أنظر:
N. Atasoy, W. B. Dennym, L. W. Mackie, H. Tezcan, *Ipek Imperial Ottoman Silks and Velvets*, London, 2001, p. 17, pl. 5.
[٢١] Atasoy *et al.*, *op. cit.*, p. 16.

AnIsl 38 (2004), p. 57-68 ar. ʿABD AL-MĀLIK (Sāmī Sāliḥ)

الدراسة الفنية لقطعة الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة

صُنعت هذه القطعة من الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة من الحرير الأسود والكتابات والزخارف مطرزة بالخيوط الذهبية اللون، وهو ما يطابق وصف المؤرخ الفاسي لها الذي عاينها بنفسه، وكان شاهد عيان لها، وقدم لنا الوصف السابق عنها، أما الجزء الآخر من الكسوة والذي لم يصلنا كان من الحرير الأحمر تتوسطه جامة كبيرة مزركشة بالذهب.

الزخارف والكتابات: الزخرفة الأساسية بالقطعة عبارة عن جامات لوزية الشكل مكررة على كل القطعة المتبقية من هذه الكسوة، كُتب خارج الجامات بخط النسخ المملوكي الجميل بالخيوط المذهبة على الحرير الأسود في الفراغات أعلى الجامات اللوزية من أعلى إلى أسفل العبارة التالية: «يا الله لا إله إلا الله». ومن أسفل إلى أعلى العبارة التالية:«محمد رسول الله يا محمد»، وذلك بالتبادل بحيث يبدأ صف بالعبارة الأولي والصف الذي يليه يبدأ بالعبارة الثانية، أو العبارة الأولى في صف من الصفوف يقابلها العبارة الثانية في الصف التالي عليه، محدثة بذلك أشكال مثلثات متبادلة بديعة التنسيق على كل قطعة النسيج، ساعدت على ملء الفراغات التي بين الجامات اللوزية الشكل، وأعتقد أنها كانت البداية لظهور الدالات المتداخلة بعد ذلك، سواء على ثوب الكعبة الخارجي أو ستارة الباب «البُرْقُع» أو كسوة الكعبة الداخلية، أو كسوة الحجرة النبوية بالمدينة المنورة (شكل ١، ٢).

أما الجامات اللوزية فهي منسوجة أيضاً بخيوط مذهبة، وتتكون من أربع إطارات مركزية تشتمل على كتابات مختلفة منسوجة بأصل النسيج. فقد حدد الإطار الأول الجامات من الخارج وهو يشتمل على زخرفة ميمات معقودة بداخل كل ميمة زخرفة وريدات مختلفة الأشكال رباعية وسداسية وثمانية البتلات، وفي أعلى الجامة زخرفة وريدة كأسية الشكل تتناسب مع الشكل اللوزي المدبب من أعلى، وكُتب داخل الإطار الأول الخارجي ذو الميمات المعقودة لفظ الجلالة «الله» مكرر أربع مرات ما بين كل ميمة وأخرى، ويلاحظ أن الهاء في لفظ الجلالة كُتبت مفتوحة الشكل، وتم تشكيل لفظ الجلالة.

يلي الإطار الأول الخارجي ذو الميمات الإطار الثاني الذي يأخذ شكل الجامة اللوزية أيضاً، ومكتوب فيه البسملة وسورة الإخلاص: ﴿بِسمِ اللهِ الرَحمَنِ الرحِيم قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَمَدُ، لَم يَلِد وَلَم يُولَد، وَلَم يَكن لَّهُ كُفُواً أَحَدُ﴾[22]. تبدأ من الشمال إلى اليمين عكس اتجاه عقارب الساعة، وتنتهي في أعلى الجامة بزخرفة نباتية تنتهي بورقة نباتية مدببة الطرف.

ثم يلي ذلك الإطار الثالث وكتب به عكس اتجاه عقارب الساعة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلمِ قَائِمَا بِالقِسطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[23].

[22] سورة الإخلاص، مكية، رقمها ١١٢، وعدد آياتها (٤) آيات، ص ٦٠٤ من مصحف المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

[23] سورة آل عمران، الآية (١٨).

ثم يلي ذلك مركز الجامة وفيها الآمر بعمل هذه الكسوة وهو السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وتقرأ مثل قراءة الرنوك الكتابية التي يرجع أقدمها حتى الآن إلى نفس السلطان وهو السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون[٢٤]، وهي تقرأ من الوسط «الشطب»، ثم أعلى، ثم أسفل على النحو التالي:

الأعلى: إلى الله تعالى

الوسط: العبد الفقير

الأسفل: حسن بن محمد.

أما عن أبرز مميزات الكتابات من حيث الشكل بصفة عامة في هذه القطعة، أن الأحرف منقوطة ومُشكلة خاصةً أن معظمها آيات قرآنية، والسين مسننة، والياء الراجعة، والهاء المفتوحة (شكل ١، ٢).

ومن أبرز مميزات الكتابات من حيث المضمون حيث تعتبر كتابات هذه القطعة من الكسوة الداخلية أقدم ما وصل إلينا منها حتى الآن وهي تعطينا فكرة جيدة عن كتابات الكسوة في العصر المملوكي، خاصة أنها مستمرة حتى يومنا هذا مثل البسملة وسورة الإخلاص، والشهادتين. هذا بالإضافة إلى وجود لقب: «العبد الفقير إلى الله»، وهو من ألقاب التواضع والتذلل إلى الله تعالى، وقد استخدم والسلطان مازال على قيد الحياة[٢٥]، وليس كما ذكر ماكس فان برشم (Max Van Berchem) من أن لقب الفقير إلى الله لم يستعمل في النقوش المملوكية ضمن ألقاب سلطان قائم[٢٦]، وبالتالي يعتبر هذا اللقب إضافة جديدة في دراسة الألقاب الإسلامية على الآثار الإسلامية.

ثم يلي هذا اللقب اسم السلطان حَسَن بن محمد، وذلك بصيغته المختصرة، حيث ورد مجرداً من الألقاب المعهودة بالنسبة للسلاطين المماليك في ذلك الزمان، وذكر فقط اسمه «حَسَن بن محمد»، وهي وفيما يبدو أنها الصيغة الرسمية للسلطان حَسَن بن محمد، حيث وردت على العديد من الوثائق التي ترجع إلى أيامه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر وثائق دير سانت كاترين[٢٧]، حيث وجد عليها علامته أو توقيعه المميز باسمه فقط حَسَن بن محمد.

[٢٤] يرجع أقدم الرنوك الكتابية المعروفة حتى الآن إلى أيام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وهي الرنوك التي توجد على مشكاواته، ولكن يلاحظ أن اسمه لم يُكتب عليها، واكتفى الفنان بكتابة عبارة: «عز لمولانا السلطان الملك». للمزيد عن الرنوك وأنواعها، ومنها الرنوك الكتابية، أنظر: محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، السنة ٩، العدد ٤٠٠، القاهرة، ٥ صفر ١٣٦٠هـ الموافق ٣ مارس ١٩٤١م، ص ٢٦٨-٢٧١؛ جمال محرز، الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، مج ٩٨، العدد ٥، القاهرة، مايو ١٩٤١م؛ أبو الفرج العش، الشعارات الموجودة على الأواني الفخارية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج ١٠، دمشق، ١٩٦٠م؛ أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢١، القاهرة، ١٩٧٤م؛ الرنوك الإسلامية، دار الحريري للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م؛ مايسة محمود داود، الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، السنة ٧، العدد ٣، الرياض، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ الموافق فبراير ١٩٨٢م، ص٢٦-٣٩.

L. A. Mayer, *Une énigme du blason musulman, BIE* XXI, Le Caire, 1939, p. 34 -35.

[٢٥] عن هذا اللقب أنظر: حسن الباشا، الألقاب في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٤٢٢؛ محمد بن فهد عبدالله الفعر، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٩٨.

[٢٦] الباشا، الألقاب، ص٤٢٢.

M. V. Berchem, *Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum*, vol. I, Paris, 1903, p. 336.

[٢٧] للمزيد عن هذه الوثائق انظر:

H., Stern, *Petitions from the Mamlūk period, "Notes on the Mamlūk documents from Sinai", BSOAS* XXIX, University of London, London, 1966, p. 253-265, pls. II, III, IV, V, VII.

أما العنصر الزخرفي الذي جاء في هذه القطعة من كسوة الكعبة المشرفة الداخلية، و هي الجامات التي عبارة عن رسوم زخرفية على شكل كمثري أو لوزي وداخلها تكون الكتابات، وأن بداية ظهور الزخرفة على كسوة الكعبة سواء الداخلية أو الخارجية كانت عبارة عن دارات، وكان ذلك خلال الربع الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إذ إن أول ذكر لها جاء عند ابن عبد ربه الأندلسي (ت بعد ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) بقوله: «والبيت كله مستور إلا الركن الأسود...، وفيه دارات مكتوب فيها: حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه»[٢٨].

أما عن تأريخ هذه القطعة ونسبتها إلى السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فكان بناءً على الأدلة التالية:

أولها: هو ورود اسم حسن بن محمد عليها مجرداً من ألقابه وسبق اسمُه بالفقير إلى الله تعالى، وذلك لأنها توضع داخل بيت الله الحرام الكعبة المشرفة، وهي دليل على التواضع والتجرد من الألقاب الدنيوية في هذا المكان المقدس بيت الله الكريم الكعبة المشرفة.

ثانيها: بعد تحليل النص التاريخي الوصفي ودراسة قطعة النسيج دراسة فنية، يمكننا القول بانطباق وصف المؤرخ الفاسي الذي كان شاهد عيان لهذه القطعة من الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة من حيث أنها بالفعل من الحرير الأسود والجامات بالخيوط الذهبية اللون.

ثالثها: الآيات القرآنية التي وردت على قطعة النسيج كلها تشير إلى التوحيد، وهو ما يتناسب مع وضعها داخل بيت الله الحرام الكعبة المشرفة، وكذلك الشهادتين، اللتين أصبحتا من أهم ما يكتب على كسوة الكعبة المشرفة سواء الداخلية أو الخارجية أو كسوة الحجرة النبوية وحتى يومنا هذا.

وبعد هذه الأدلة يمكن القول أن هذه القطعة من الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة التي أرسلها السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩-١٣٦٠م، وأنها تؤرخ بالسنة التي أُرسلت فيها.

وبهذا يمكننا القول أن السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون هو أول السلاطين المماليك كسوةً للكعبة المشرفة من الداخل ومن ماله الخاص، في حين أن كسوة الكعبة الخارجية كانت لها أوقاف موقوفة عليها منذ عهد السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م) الذي أوقف عليها قرية من قرى القليوبية اشتراها من بيت المال منذ سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م[٢٩].

[٢٨] أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخـرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٦م، ج ٦، ص ٢٥٧.

[٢٩] للمزيد عن وقف السلطان الصالح إسماعيل أنظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ الزهور المقتطفة، ص٧٢؛ شمس الدين محمد عبدالرحمن السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ص٣٣١-٣٣٢؛ أبو البركات محمد بن أحمد ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هــ/ ١٩٨٢م، ج ١ ق ١، ص ٥٠٥؛ قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان المكي النهروالي، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، شرح وتعليق محمد طاهر الكردي، المكتبة العلمية، مكة المكرمة، ١٣٧٠هـ، ص ٦٩، ٢١٣؛ محمد جارالله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي القرشي المخزومي ابن ظهيرة، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٦٩؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ص ١٤٩٨؛ عبِدالكريم بن محب الدين القطبي، إعلام العلمَاء الأعلام ببناء البيت الحَرام، علق عليه أحمد محمد جمال وآخرون، ط ١، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٦١-٦٢؛ نور الدين علي بن أحمد السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار النفائس، الرياض، د. ت، ج ٢،

كما أن أعمال السلطان الناصر حسن التي تمت في الفترة الثانية من حكمه بالنسبة للكعبة المشرفة لم تقتصر على أنه أول السلاطين المماليك كسوةً للكعبة من الداخل، بل أمر بصنع مفتاح من النحاس الأصفر المكفت بالفضة لباب الكعبة المشرفة قبل ذلك سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤-١٣٥٥م[٣٠]، كما أمر أيضاً بصُنع باب من خشب الساج للكعبة المشرفة، في السنة التي كسا فيها الكعبة من الداخل[٣١]، كما واكب كل هذا الاهتمام بعمارة درب الحج المصري عبر شبه جزيرة سيناء إذ توجد نقوش إنشائية من أيامه تؤرخ لأعماله على درب الحج المصري بشبه جزيرة سيناء، منها نقش مؤرخ تقريبا بشهر رجب سنة ٧٥٦هـ/ يوليه - أغسطس ١٣٥٥م وهو نقشه بسطح العقبة[٣٢]، ونقش صخري إنشائي ثاني بالقباب بوادي الحاج مؤرخ بشهر ربيع الآخر سنة ٧٦٠هـ/ مارس ١٣٥٨م[٣٣].

ص ٥٨٣، ٥٨٤؛ الأسدي، أحمد بن محمد المكي، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق الحافظ غلام مصطفى، ط ١، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٦٣؛ أحمد بن زيني ابن دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام، مكتبة المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص ٤٧؛ صالح بن أحمد بن زين الدين الشيبي العبدري الحجبي، إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ، ط ١، مطابع الصفا، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٠١؛ رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٧؛ محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص ١٨٩-١٩٠؛ باسلامه، تاريخ الكعبة، ص ٢٦٦، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧٤؛ يوسف أحمد، المحمل والحج، مطبعة الحجازي، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ الكردي، التاريخ القويم، ج ٣، ص ٥٥٨، ج ٤، ص ٢٥؛ علي بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ط ١، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٠١؛ مؤذن، كسوة الكعبة، ص ٢٣٢-٢٣٥؛ عبدالله عقيل عنقاوي، كسوة الكعبة في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٥، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٢؛ فوزية حسين مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٤١٩-٤٢٠؛ الدقن، كسوة الكعبة، ص ٤٧-٤٨، ١٢٧؛ ضيف الله الزهراني، نفقات عمارة الكعبة المشرفة في صدر الإسلام حتى نهاية العهد العثماني، مستلة من كتاب بحوث تاريخية (١-٢)، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٤٦.

٣٠ المفتاح محفوظ بمتحف قصر طوب قابي باستانبول رقم سجل ٢/٢٢١٩، ٢، للمزيد أنظر: طزجان يلماز، الكعبة المشرفة دراسة أثرية لمجموعة أقفالها ومفاتيحها المحفوظة في متحف طوب قابي باستانبول، ترجمة تحسين عمر طه اوغلي، استانبول، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٧، لوحة (١٣).

J. Sourdel-Thomine, «Clefs et serrures de la Kaʿba notes d'épigraphie arabe», *REI* 34, Paris, 1971, p. 70-71, pl. VI b.

٣١ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١٩٩؛ العقد الثمين، ج ٤، ص ١٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣١٦؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٨٠؛ علي بن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق أشرف الجمال، ط ١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٥٢؛ رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٧٦؛ مؤذن، كسوة الكعبة، ص ١٣٨؛ إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ، باب الكعبة المعظمة على مر العصور، مجلة الدارة، السنة ٧، العدد ٣، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ/ فبراير ١٩٨٢م، ص ١٠.

٣٢ نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء في أول عهد التاريخ إلى اليوم، دير سانت كاترين، ط. أثينا، ١٩٨٥م، ص ٢٠٤؛ رفعت الجوهري، سيناء أرض القمر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٦٤م، ص ٩١.

B. Rothenberg, *God' s Wilderness*, New York, Toronto, 1962, p. 181-182; Sh. Tamari, «Darb al-Hajj in Sinai an Historical-Archaeological Study», *Atti della Accademia Nazionale dei Lincei*, S. VIII, vol. XXV, Roma, 1982, p. 521, pl. X a.

٣٣ عن هذا النقش أنظر: سامي صالح عبدالمالك، درب الحج المصري دليل على التواصل الحضاري دراسة أثرية في ضوء الاكتشافات الحديثة ، كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٥٧-٤٥٨؛ تأريخ الآثار الإسلامية بشبه جزيرة سيناء، بحث أُلقي بندوة آثار سيناء عبر العصور، المجلس الأعلى للثقافة، لجنة الآثار، في الفترة من ١٨ إلى ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م ، قيد النشر؛ التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سيناء في العصر الأيوبي دراسة أثرية - معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٩٦.

Tamari, «Darb al-hajj», p. 454, pl. I b.

أما كِسْوتة الداخلية للكعبة المشرفة فقد استمرت على جدرانها أكثر من خمسة وستين سنة دون تغيير حتى تم تغييرها بكسوة السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م، وهي السنة الثانية من حكمه، وجهزها على يد القاضي زين الدين عبدالباسط[٣٤]. وهذه الكسوة الأخيرة غُيرت بكسوة السلطان سيف الدين جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، ففي أيامه طلب سلطان العجم شاه رخ بن تيمورلنك منه الإذن للسماح له بكسوة الكعبة المشرفة وفاءً بنذر له فوافق على طلبه بشرط أن ترسل الكسوة إلى مصر فتخرج بصحبة الركب المصري، فأرسل كسوةً داخليةً للكعبة المشرفة، فكُسيت بها يوم عيد الأضحى سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م[٣٥]. وفيما يبدو أنها وضُعت على كسوة السلطان الأشرف برسباي، إذ تم تغيير الكسوتين بعد ذلك بكسوة السلطان جقمق سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م[٣٦].

كما قام السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٢١٢م) سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م بإرسال كسوةٍ داخلية للكعبة المشرفة[٣٧].

ولم يأت ذكر للكسوة الداخلية للكعبة المشرفة في المصادر التاريخية التي اطلعت عليها منذ آخر كسوة أُرسلت في عهد السلطان المملوكي الأشرف قايتباي، وحتى نهاية الدولة المملوكية في سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م، وخضوع مصر للدولة العثمانية في تلك السنة، ووضع كسوة داخلية للكعبة المشرفة بعد ذلك في عهد السلطان سليمان

٣٤ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٧٠٦، ج ٣، ص ١٨٧١؛ السنجاري، منائح الكرم، ج ٢، ص ٤٢٨؛ الشيخ أحمد الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج فيما ولى إمارة الحاج، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، رقم الميكروفيلم ٢١٥ تاريخ، ص ٤٢ظ، تحقيق ليلى عبداللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٤٠؛ بن فضل الله الطبري، تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٠٦؛ أحمد، المحمل، ج ١، ص ٢٤٨؛ الكردي، التاريخ القويم، ج ٣، ص ٥٦٠؛ مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٢١.

٣٥ المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٩٢٧-٩٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٣٦٤-٣٦٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٩٦-٩٨؛ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ج ٣، ص ٣٠٢؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٢٣٨، ٢٣٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٤٥؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٧٣٣؛ قطب الدين النهروالي، الأعلام، ص ٢١٧-٢١٨؛ السنجاري، منائح الكرم، ج ٣، ص ٤٣-٤٤؛ أحمد، المحمل، ج ١، ص ٢٤٩؛ الكردي، التاريخ القويم، ج ٣، ص ٥٦٠؛ مؤذن، كسوة الكعبة، ص ١٤٢-١٤٣؛ عنقاوي، كسوة الكعبة، ص ١٧-١٨؛ مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٢١؛ الدقن، كسوة الكعبة، ص ٤٩-٥٠؛ الزهراني، نفقات عمارة الكعبة، ص ٤٦-٤٧؛ إبراهيم حلمي، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب أخبار اليوم، العدد ٣٢١، شوال ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٤٨-٤٩.

٣٦ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٩١؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٠٧، ٣١٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٩٦؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٧٣٩؛ الرشيدي، حسن الصفا، ص ٤٤؛ أحمد، المحمل، ج ١، ص ٢٤٩؛ الكردي، التاريخ القويم، ج ٣، ص ٥٦١؛ مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٢٢؛ الدقن، كسوة الكعبة، ص ٥٠، ٥٣؛ الشيبي، تحقيق المرام، ص ٨٩.

٣٧ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦٣٨؛ ابن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٥٣٢؛ الجزيري، الدرر، ج ١، ص ٧٥٧، ج ٢، ص ١٤٩٨؛ الرشيدي، حسن الصفا، ص ٤٦ظ، ومن الكتاب ص ١٤٧؛ باسلامه، تاريخ الكعبة، ص ٢٦٥-٢٦٦، محمد أنور شكري، لوحان أثريان للسلطان قايتباي والسلطان سليمان القانوني، جامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٣٧؛ مؤذن، كسوة الكعبة، ص ١٤٦؛ مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٢٢؛ الدقن، كسوة الكعبة، ص ٥٤؛ عباس، المسجد الحرام، ص ٣٧٤؛ الشيبي، تحقيق المرام، ص ٨٩.

AnIsl 38 (2004), p. 57-68 ar. ʿABD AL-MĀLIK (Sāmī Sāliḥ)

القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م[٣٨]، الذي زاد في أوقاف كسوة الكعبة المشرفة التي من أيام السلطان الصالح إسماعيل، حيث ذكر في نص الوقفية الصرف على الكسوة الداخلية كل خمس سنوات لأول مرة[٣٩].

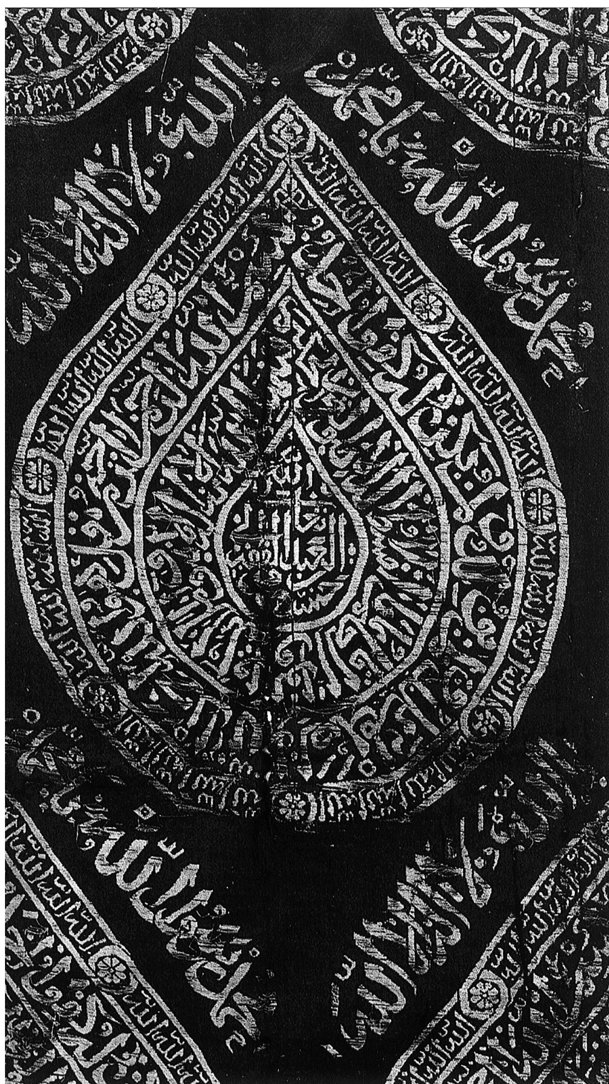
وبعد كانت هذه دراسة موجزة لأقدم قطعة من كسوة الكعبة المشرفة معروفة حتى الآن سواء الداخلية أو حتى الخارجية، وأول كسوة داخلية للكعبة المشرفة من قبل سلاطين المماليك، فهي بذلك تعتبر قطعة فريدة في عالم المنسوجات.

٣٨ الجزيري، الدرر، ج ٢، ص ٨٣٩.

٣٩ رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٨٥-٢٩٢؛ أحمد، المحمل، ج ١، ص ٢٥١-٢٥٧؛ باسلامه، تاريخ الكعبة، ص ٢٧١-٢٧٨؛ عطار، الكعبة والكسوة، ص ١٥٤؛ الكردي، التاريخ القويم، ج ٤، ص ١٧-٢٢؛ الزهراني، نفقات عمارة الكعبة، ص ٤٧-٤٨.



ملحق ١. قطعة من كسوة الكعبة المشرفة الداخلية من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون تؤرخ بسنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩ - ١٣٦٠م.



ملحق ٢. تفصيل لجامة من جامات كسوة الكعبة الداخلية وما بها من كتابات من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون.

AnIsl 38 (2004), p. 57-68 ar. ʿABD AL-MĀLIK (Sāmī Sāliḥ)